أسماء الله الحسنى

الملك المليك المالك

اللقاء السابع والعشرون

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، ربَّنا لك الحمدُ، مِلْءَ السَّمواتِ والأرضِ، ومِلْءَ ما شِئتَ مِن شيءٍ بعدُ، أهلَ الثَّناءِ والمجدِ، أحقُّ ما قال العبدُ، وكلُّنا لك عبدٌ، اللهمَّ لا مانعَ لِما أعطَيتَ، ولا مُعطيَ لِما منَعتَ، ولا ينفَعُ ذا الجَدِّ منك الجَدُّ، اللهم أنت أحق من ذُكر، وأحق من عُبد، وأنصر من ابتُغي، وأرأف من ملك، وأجود من سُئل، وأوسع من أعطى.

أنت الملك لا شريك لك، والفرد لا ند لك، كل شيء هالك إلا وجهك، لن تطاع إلا بإذنك، ولن تعصى إلا بعلمك، تطاع فتشكر، وتعصى فتغفر، أقرب شهيد، وأدنى حفيظ، حُلتَ دون النفوس، وأخذت بالنواصي، وكتبت الآثار، ونسخت الآجال، القلوب لك مفضية، والسر عندك علانية، الحلال ما أحللت، والحرام ما حرمت، والدين ما شرعت، والأمر ما قضيت، والخلق خلقك، والعبد عبدك، وأنت الله الرؤوف الرحيم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله أجمعين، أما بعد:

فحديثنا في هذا اليوم عن ثلاثة أسماء من أسماء الله -تبارك وتعالى- وهي المَلِك، والمليك، والمالك، معرفتُها تزيد المسلم يقيناً، وشرحُها تملأ النفوس انشراحاً، وفقهها يكنُف القلب اطمئناناً، بل إن مدار صلاح العقيدة عليها، ومناط سلامة الإيمان متوقف عليها، ملك الملوك الذي بيده مقاليد كل شيء، وعنده مفاتيح كل شيء، وإليه يرجع أمر كل شيء.

أولاً: المعنى اللغوي:

ملك الشيء أي حازه وانفرد باستعماله والانتفاع به أو التصرف فيه والاسم مالك.

والمَلَك (بفتح الميم واللام) هو واحد الملائكة، أما المِلك (بفتح الميم وكسر اللام) فهو اسم من أسماء الله الحسنى.

وهو يعني ذو الملك وصاحب التصرف فيما يملك بجميع الوجوه ما علمناه منها وما لم نعلم.

فالله: هو الملك صاحب التصرف المطلق الآمر الناهي الذي يصرف أمور عباده كما يشاء.

والاستعمال اللغوي لمعنى الملك يدور حول التصرف والهيمنة والسيادة، فالمُلْكُ: هو التصرف بالأمر والنهي في الجمهور، وذلك يختص بسياسة الناطقين، ولهذا يقال: مَلِكُ الناس، ولا يقال: مَلِكُ الأشياء، والمُلْكُ الحقُّ الدائم لله، ولفظ الملكوت وهو بمعنى الملك - لكنّه مختص بمِلْكِ الله تعالى، قال تعالى: (وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ) [الأنعام:75]، والمملكة: سلطان المَلِكِ وبقاعه التي يتملَّكها.

ثانياً: وروده في القرآن:

وقد وَرَدَ اسم (المَلِك) في القرآنِ الكريم في خَمسَةِ مواضع؛ منها قولُهُ تَعَالىٰ: (هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ) [الحشر: 23]، وقولُهُ تَعَالىٰ: (فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ) [المؤمنون: 116] وقولُهُ تَعَالىٰ: (فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ۗ) [طه:114]، وقولُهُ تَعَالىٰ: (يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ)[الجمعة 1]، و(مَلِكِ النَّاسِ) [الناس:2]

وذكر اسم مالك مرتين:

قال تعالى: (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) [الفاتحة:4]، وقولُهُ تَعَالىٰ:(قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ) [آل عمران:26]

وَوَرَدَ اسم (المَلِيك) في موضِعٍ واحِد، في سورة القمر في قوله تَعَالىٰ: (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ) [القمر: 54-55].

أما في السنة فعن ابن مسعود -رضي الله عنه- قَالَ: "جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ الله - ﷺ - فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّا نَجِد أَنَّ الله يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلاَئِقِ عَلَى إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ، فَضَحِكَ النَّبِيّ -ﷺ- حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقاً لِقَوْلِ الْحَبْرِ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ الله -ﷺ-: (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ) [الزمر:67]" [البخاري (4811) مسلم (2786)].

وعند الترمذيّ من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال أبو بكرٍ – رضي الله عنه -: يا رسول الله، مُرني بشيءٍ أقوله إذا أصبحتُ وإذا أمسيت؟ قال: "قل: اللهم فاطرَ السمواتِ والأرضِ عالمَ الغيبِ والشهادةِ ربَّ كلّ شيءٍ ومليكَه، أشهدُ أن لا إله إلا أنت، أعوذُ بك من شرّ نفسي، وشرّ الشيطانِ وشِرْكِه قال: قلْها إذا أصبحتَ، وإذا أمسيتَ، وإذا أخذتَ مضجعَك "رواه الترمذي

ودلت السنّة الصحيحة عليه عن رسول الله -ﷺ-على ورود هذا الاسم، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ -ﷺ- قَالَ: "إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللَّهِ رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الْأَمْلَاكِ" [مسلم: (2143)]، زَادَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي رِوَايَتِهِ: "لَا مَالِكَ إِلَّا اللَّهُ -عز وجل-" قَالَ سُفْيَانُ: مِثْلُ شَاهَانْ شَاهْ، وأَخْنَعَ معناه: أَوْضَعَ، قال ابن حجر: "واستدل بهذا الحديث على تحريم التسمي بهذا الاسم لورود الوعيد الشديد، ويلتحق به ما في معناه مثل خالق الخلق وأحكم الحاكمين وسلطان السلاطين وأمير الأمراء".

ثالثاً: المعنى في حق الله تعالى:

قال الزجاج: "الملك، النافذ الأمر في ملكه إذ ليس كل مالك ينفذ أمره أو تصرفه فيما يملكه، فالملك أعمُّ من المالك، والله تعالى مالك المالِكين كلِّهم، وإنما استفادوا التصرف في أملاكهم من جهته تعالى".

وقال الخطابي: الملك: "هو التام الملك الجامع لأصناف المملوكات، فأما المالك: فهو خاص الملك".

وقال ابن جرير: "الملك الذي لا ملك فوقه ولا شيء إلا تحت سلطانه".

وقال ابن كثير: "في قوله: (هُوَ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ) [الحشر: 23] أي: "المالك لجميع الأشياء المتصرف فيها بلا ممانعة ولا مدافعة".

قال القيم -رحمه الله- بقوله: "الملك الحق هو الذي يكون له الأمر والنهي، فيتصرَّف في خلقه بقوله وأمره، وهذا هو الفرق بين الملك والمالك؛ إذ المالك هو المتصرِّف بفعله، والملك هو المتصرِّف بفعله وأمره، والرب تعالى مالك الملك فهو المتصرِّف بفعله وأمره".

قال أمـيَّـة بن أبي الصلت:

لك الحمدُ والنَّعْماءُ والفضْلُ ربَّنا *** ولا شيْءَ أعلَى منكَ جِداً وأمْجدُ.

مليْكٌ على عرْشِ السَّمَاءِ مهيْمنٌ *** لعزَّته تعْنُو الوجـوهُ وتسْجُدُ.

ولكن لماذا سمى الله نفسه مالك وملك؟ لأن المالك يملك وقد لا يحكم، والملك يحكم وقد لا يملك.

والله هو المالك الملك الذي يملك ويحكم، وقد وردت القراءتان في سورة الفاتحة (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) وفي قراءة ورش (مَلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ)

قال الشيخ عبد الرزاق البدر-حفظه الله – في كتاب فقه الأسماء الحسنى:

وهٰذان الاسمان دالَّان على أن اللهَ –سُبْحَانَه-ذو المُلْك؛ أي: المَالِكُ لجميعِ الأشياءِ المُتَصَرّفُ فيها بلا مُمَانَعَة ولا مُدَافَعَة.

والمُلْكُ يرجعُ إلى أمور ثلاثة:

❶-أمر يتصل بصفاته أنه ملك.

❷-وأمر يتصل بمن يملكهم.

❸-وعلاقة الملك بمن يملكهم.

قال-حفظه الله-:

الأول: ثُبُوتِ صفاتِ المُلْكِ لَهُ؛ التي هي صفاتهُ العَظِيمةُ من كمالِ القُوَّةِ والعِزَّةِ والقُدرَةِ والعِلْمِ المُحِيط، والحِكمَةِ الواسِعَة ونفوذِ المشيئةِ وكمالِ التَّصرُّفِ وكمالِ الرَّأفَةِ والرَّحمَة والحُكْم العام للعالمِ العُلْويّ والسُفْلِيّ والحُكْم العَامَ في الدُّنيا والآخرة.

قالَ تَعَالى: (وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [آل عمران:189]، وقالَ تَعَالى: (الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ) [الفرقان: 26]، وقال تعالى: (لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ) [غافر: 16]

الثاني: أنَّ جميعَ الخَلْقِ مَمَالِيكهُ وعَبِيدهُ، ومُفتقِرُونَ إليهِ، ومُضطرُّونَ إليهِ في جميعِ شُؤُونِهِم، ليسَ لأحدٍ الخروج عن مُلْكِهِ، ولا لمَخْلُوقٍ غنىً عن إيجادِهِ وإمدادِهِ ونَفعِهِ ودَفْعِهِ ومَنِّهِ وعَطَائِهِ.

قالَ اللهُ تَعَالىٰ:(وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) [الزخرف: 85]

وقال تَعَالىٰ: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ) [فاطر:15_16]

وقالَ تَعَالىٰ:(وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) [العنكبوت:60].

قال السعدي: أي: الباري تبارك وتعالى، قد تكفل بأرزاق الخلائق كلهم، قويهم وعاجزهم، فكم (مِنْ دَابَّةٍ) في الأرض، ضعيفة القوى، ضعيفة العقل، (لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا) ولا تدخره، بل لم تزل، لا شيء معها من الرزق، ولا يزال الله يسخر لها الرزق، في كل وقت بوقته.

(اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ) فكلكم عيال الله، القائم برزقكم، كما قام بخلقكم وتدبيركم، (وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) فلا يخفى عليه خافية، ولا تهلك دابة من عدم الرزق بسبب أنها خافية عليه.

الثالث: أنَّ لَهُ التدبيرات النافِذَة، يَقضِي في مُلْكِهِ بما يشاءُ، ويحكُمُ فيهِ بما يُريد، لا رَآدَ لقَضَائِهِ ولا مُعَقِّبَ لحُكمِهِ، لَهُ الحُكْمُ فيهِ تَقْدِيرًا وشَرْعًا وجَزَاءً.

فلَهُ الأحكامُ القَدَرِيَّة حيثُ جَرَتِ الأقدارُ كلُّها؛ والإيجادُ والإعدامُ والإحياءُ والإماتةُ وغير ذلك على مُقتَضَى قَضَاءِهِ وقَدَرِه.

ولَهُ الأحكامُ الشَّرعِية حيثُ أَرْسَلَ رُسُله، وأنزلَ كُتُبَه، وشرعَ شرائعَه، وخَلَقَ الخَلْقَ لهٰذا الحكم، وأمرهُم أن يمشُوا على حُكْمِهِ في عَقَائِدِهِم وأخلاقِهِم وأقوالِهِم وأفعالِهِم وظَّاهِرَهِم وبَاطِنَهم، ونهاهُم عن مُجَاوَزَةِ هٰذا الحُكم الشَّرعِيّ.

ولَهُ الأحكامُ الجزائِيَّة، إثابةُ الطَّائِعِينَ، وعُقُوبَةُ العَاصِين، وكُلّ هٰذهِ الأحكام تابِعَة لِعَدْلِهِ وحِكْمَتِهِ وكلها من معاني مُلكِه.

قال الشيخ عبد الرزاق البدر-حفظه الله-:

ومن معاني مُلكِه: إنزالُ كُتُبِهِ وإرسالُ رُسُلِه، وهِدايةُ العالمينَ، وإرشادُ الضَّالينَ، وإقامةُ الحُجَّةِ والمَعذِرَةِ على المُعانَدينَ المُكابرين، ووَضْعُ الثوابِ والعقابِ مَواضعُها، وتنـزيلُ الأمورِ منازِلُها، إلى غيرِ ذلكَ من التَّدبيرِ والتَّصرُّفَ في مَمْلَكَتِه بما شاءَ-سُبْحَانَه-.

قالَ ابنُ القَيِّم-رَحِمَهُ اللهُ-: "إنَّ حقيقةَ المُلْكِ إنما تَتِمُّ بالعطاءِ والمنعِ والإكرامِ والإهانةِ، والإثابةِ والعُقُوبةِ، والغضبِ والرضا، والتَّوْلِيةِ والعزلِ، وإعزازِ من يليقُ بِهِ العِزُّ، وإذلالِ من يليقُ بِهِ الذُّلّ.

قالَ تَعَالىٰ: (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) [آل عمران26-27].

وقالَ تَعَالىٰ: (يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ) [الرحمن: 29]

قال-حفظه الله-: يَغفرُ ذَنبًا، ويُفَرِّجُ كَربًا، ويَكشِفُ غَمًا، ويَنصرُ مَظلُومًا، ويأخذُ ظالمًا، ويَفُكُّ عانيًا، ويُغني فقيرًا، ويجبُرُ كسيرًا، ويَشفِي مريضًا، ويقيلُ عثرة، ويستر عَورَة، ويُعِزُّ ذليلًا، ويُذِلُّ عزيزًا، ويعطي سائلًا، ويَذهَب بدولة ويأتي بأُخرىٰ، ويُداوِلُ الأيامَ بينَ الناس، ويرفعُ أقوامًا، ويَضَعُ آخرين.

يَسُوقُ المقاديرَ التي قَدَّرها قبلَ خَلْقِ السماواتِ والأرض بخمسينَ ألفَ عامٍ إلى مَوَاقِيتِها، فلا يتقدَّمُ شيءٌ منها ولا يتأخَّر؛ بَلْ كُلٌّ منها قد أحصاهُ كما أحصاهُ كتابُه، وجرىٰ بِهِ قَلَمُه، ونفذَ فيهَ حُكمُه، وسبقَ بهِ عِلمُه، فهُوَ المُتَصَرِّفُ في المَمَالِكِ كُلِّهَا وحدهُ، تَصَرُّفُ مَلِكٍ قادرٍ قاهرٍ عادلٍ رحيم تام المُلْك.

قال-حفظه الله-:

تام المُلْك، لا يُنازِعُهُ في مُلْكِهِ مُنازِع، ولا يُعارِضُهُ فيهِ مُعارِض، فتَصَرُّفه في المَمْلَكَةِ دائرٌ بينَ العَدْلِ والإحْسَانِ، والحِكْمَةِ والمَصْلَحَةِ والرَّحمَة، فلا يَخرُج تَصَرُّفَهُ عن ذلك".

هٰذا وقد تكرّرَ في القرآنِ الكريمِ بيان أنَّ تَفَرُّدَ اللهِ بالمُلْكِ لا شريكَ لَهُ دليلٌ ظاهرٌ على وجوبِ إفراده وحدَهُ بالعبادة.

قالَ اللهُ تَعَالىٰ: (ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ) [الزمر:6]

وقالَ تَعَالىٰ: (فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ) [المؤمنون:116].

وأنَّ عِبادَةَ مَنْ سِوَاهُ مِمَّن لا يملكُ لنفسِهِ ضَرًا ولا نفعًا ولا حياةً ولا موتًا ولا نُشُورًا، أضلَّ الضلالِ وأبطلَ الباطِل، وقد وَرَدَ في القرآنِ آياتٌ عديدةٌ تُقَرِّرُ هٰذه الحقيقة وتُجَلِّي هٰذا الأمر.

قالَ اللهُ تَعَالىٰ: (وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَمْلِكُونَ لأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَلا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلا حَيَاةً وَلا نُشُورًا) [الفرقان:3]

وقالَ تَعَالىٰ:(وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ) [فاطر:13-14]

وقالَ تَعَالىٰ: (قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) [المائدة:76]

أي: لا يملِكُ مثقالَ ذرَّةٍ استقلالًا، ولا يملكُهُ على وجهِ المُشارَكة، ولا يملكُ الإنسانُ في هٰذهِ الحياةِ شيئًا إلا بتَمْلِيكِ اللهِ لَهُ، ومَنْ لا يملِكُ في هٰذا الكَوْنِ ولا مثقال ذرَّةٍ لا يَجُوزُ أن يُصْرفَ لَهُ شيءٌ من العِبادَة.

إذ العبادةُ حقٌ للمَلِكِ العَظِيمِ والخَالِقِ الجَلِيلِ والرَّبِّ المُدَبِّرِ لهٰذا الكَوْن لا شَرِيكَ لَه، عَزَّ شَأْنُه، وعَظُمَ سُلطَانُه، وَتَعَالىٰ جَدُّه، ولا إلـٰهٌ غَيرُه.

كثير من خلق الله نسوا حقيقة في غاية الأهمية في حياتهم الدنيا، ألا وهي أن لا مالك على الحقيقة إلا الله، فهو الملك الحقيقي للدنيا وما فيها، والآخرة وما فيها، ولعل السبب الرئيسي لنسياهم هذه الحقيقة الأساسية في منظومة حياتهم الدنيا، أنهم جهلوا أسماء الله وصفاته، ولم تتشرب قلوبهم بالمعاني الإيمانية والآثار اليقينية للعلم بالله وبأسمائه وصفاته....

كان عضد الدولة البويهي سلطانا من سلاطين الدولة البويهية الشيعية، وكان جبارا عنيدا شديد البطش والفتك بخصومه، وقد سيطر على أجزاء كبيرة من بلاد العراق، وكان له جيش كبير خاض به معارك كثيرة ضد باقي الأمراء والملوك، فلما حضرته الوفاة سنة 373هـ، وعاين سكرات الموت أخذ ينشد أشعارا تدل على سير حياته وشعوره بالندم والحسرة على ما اقترف في ملكه فقال:

قَتَلْتُ صَنَادِيدَ الرِّجَالِ فَلَمْ أَدَعْ عَدُوًّا وَلَمْ أُمْهِلْ عَلَى ظَنِّهِ خلقا

وأخليت دار الملك من كان باذلا فَشَرَّدْتُهُمْ غَرْبًا وَشَرَّدْتُهُمْ شَرْقَا

فلما بلغت النجم عزا ورفعة وصارت رقاب الخلق أجمع لي رقا

رماني الردى سهما فأخمد جمرتي فها أنا ذا في حفرتي عاطلا ملقى

فأذهبت دنياي وديني سفاهة فمن ذا الذي مني بمصرعه أشقى

ثم أخذ في البكاء وترديد قوله عز وجل: (مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ) [الحاقة:29-30]، وصاح بأعلى صوته: "يا من لا يزول ملكه ارحم من زال ملكه".

ومن خلال هذا العرض لأقوال أهل العلم في معنى اسم الملك يتضح لنا عدة حقائق غاية في الأهمية عن فقه اسم الله الملك ومنها:

أولا: إن الله -جل جلاله- هو الملك الحقيقي الذي يملك كل شيء، وهو مالك المالكين كلهم، وما يملكون كله، وإنما استفادوا التملك والتصرف في أملاكهم من جهته -سبحانه-، فهو الذي خلقهم وملَّكهم ما هم فيه، وهو -سبحانه- ملك الملوك، ومالك الملك، ومالك الممالك، له الملك كله في الدنيا والآخرة، وله ملك السموات والأرض، وما فيهن من الملائكة والملوك والممالك والمماليك، وسائر المخلوقات في العالم العلوي والعالم السفلي ملكه: من شمس وقمر، وليل ونهار، وكواكب ونجوم، وملائكة وأرواح، وإنس وجن، وطير وحيوان، وجماد ونبات، وبحار وأنهار، وسحب ومياه، وتراب وجبال، وهواء ورياح، وغير ذلك مما لا يمكن إحصاؤه، أو الوقوف على آحاده: (لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ) [المائدة: 120].

ولذلك إذا قيل: هل الإنسان يملك؟ كان الجواب: الإنسان لا يَملِك حقيقةً؛ لأن فقره وضَعفه ملازمٌ له؛ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: 15].

فالإنسان أوله نُطفة، ثم عَلقة، ثم مُضغة، ثم بعد ذلك يولد عاريًا عاجزًا، يصرخ طالبًا أسباب الحياة، فأين ملكه في هذا الوقت؟ ثم هو عند الاحتضار لا تُغني عنه ممتلكاته كلها شيئًا، ولا تَمُدُّ في أجله ولو لحظةً، فأين ملكه إذًا؟! فملك الإنسان في الحقيقة عارية مُستردة؛ لأنه يولد صفر اليدين، ويخرج كذلك؛ قال الله: ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: 7].

فقِهتْ هذا المعنى العظيم أُمُّ سُليم رضي الله عنها لَمَّا مات ولدها، قالت: "يا أبا طلحة، أرأيت لو أن قومًا أعاروا عاريتهم أهل بيتٍ، فطلبوا عاريتهم، ألَهم أن يَمنعوهم؟ قال: لا، قالت: فاحتسبْ ولدك".

المؤمن العارف بالله، يعلم أن بيته وسيارته ومتجره، ومصنعه وبستانه ومزرعته، كل ذلك ملك لله تعالى على الحقيقة، لكنه ملَّكك إياها ملكًا مؤقتًا، واستخلفك فيها لينظر كيف تعمل!

فقد روى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رسول الله -ﷺ- قال: ((إنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وإنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كيفَ تَعْمَلُونَ...)).

وانظر إلى مَن قيل عنهم: إنهم ملوك - لسَعة مُلكهم وعِظَم سلطانهم - كهارون الرشيد الذي كان ينظر إلى السحابة في عنان السماء، ويقول: أمطري حيث شئتِ، فسوف يأتيني خَراجك؛ يقول ذلك مِن سَعة ملكه! "لَمَّا احْتُضِر أمر بحفر قبره، ثم حُمِل إليه، فاطَّلع فيه فبكى حتى رُحِم، ثم قال: يا مَن لا يزول ملكه، ارحَم مَن زال ملكه"[التبصرة].

دخل عليه ابن السماك فقال له هارون: عظني، فقال: يا أمير المؤمنين، أرأيتَ إن مُنِعت شربة ماء عند العطش، أكنتَ تفديها بنصف ملكك؟ قال: نعم، قال: أرأيت إن مُنِعت خروجها عند الحاجة أكنتَ تفديها بالشطر الآخر؟ قال: نعم، قال: ملكك لا يساوي شربة وبولة" "[الخطابي].

ثانيا: الله -جل جلاله- هو الواحد القهار، المتصرف في المخلوقات قاطبة، بلا ممانعة ولا مدافعة، ملكه كبير عظيم واسع، له الملكوت والجبروت، والكبرياء والعظمة، والعزة والقوة وقدرته في ملكه تامة مطلقة، فلا يعجزه شيء: (لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [الحديد: 2] فهو -سبحانه- الملك الحق، الحي القيوم، القادر الذي لا يثقل عليه، ولا يعجزه حفظ هذا الملك العظيم، الواسع الكبير: (وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ) [البقرة: 255].

ولا تحدث حركة في هذا الكون إلا بإذنه؛ روى البخاري في صحيحه مِن حديث أبي ذر، قالَ النَّبيُّ -ﷺ- لأبِي ذَرٍّ حِينَ غَرَبَتِ الشَّمْسُ: أتَدْرِي أيْنَ تَذْهَبُ؟ قُلتُ: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، قالَ: فإنَّهَا تَذْهَبُ حتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ العَرْشِ، فَتَسْتَأْذِنَ، فيُؤْذَنُ لَهَا، ويُوشِكُ أنْ تَسْجُدَ، فلا يُقْبَلَ منها، وتَسْتَأْذِنَ فلا يُؤْذَنَ لَهَا، يُقَالُ لَهَا: ارْجِعِي مِن حَيْثُ جِئْتِ، فَتَطْلُعُ مِن مَغْرِبِهَا، فَذلكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) [يس: 38].

وعندما كسر إبراهيم الأصنام التي تُعبَد مِن دون الله، أراد قومه أن يُحرِّقوه، فلما ألقَوْه في النار، ما بعث الله ريحًا لتطفئها ولا ماء لتُخمدها، ولا ملكًا ليُخرج إبراهيم، إنما تكلم بكلمة إلى النار، فخضعت لأمر الملك الجبار؛ قال تعالى: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: 69]

فهو الملك القوي القادر القاهر، الذي يدبر الأمر، ويصرِّف الأحوال، ويقلب الليل والنهار، ويفعل ما يشاء، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، يأمر وينهى، ويثيب ويعاقب، ويعطي ويمنع، ويعز ويذل، ويكرم ويهين، وينعم وينتقم، ويخفض ويرفع، ويحيي ويميت، ويرسل الرسل إلى أقطار مملكته، ويحكم عباده بأمره وشرعه، ويعمهم بفضله ورحمته: (وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ) [الفتح: 14]، فسبحانه لا إله غيره، ولا رب سواه، له الحمد على ملكه العظيم، وفضله الكبير، ورحمته الواسعة، وآلائه ونعمه السابغة: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ) [سبأ:1].

ثالثا: إن الله -عز وجل- مستغنٍ عن الخلق وعن كل ما في الوجود، بل يحتاجه كل مخلوق، وهذا هو الوصف الدقيق للمَلِك، ولا يصدق إلا على الله -عز وجل-، وصفة الملك تستلزم سائر صفات الكمال، فالملك الحقيقي التام يستلزم الحياة المطلقة، والقدرة التامة، والعلم الشامل، والإرادة النافذة، ويستلزم السمع والبصر، والكمال والفعل، وغير ذلك من صفات الكمال والجلال والجمال.

رابعا: إن الله -سبحانه- من كمال ملكه وكمال رحمته، وكمال قدرته حمَدَ نفسه، وأثنى عليها، ومما أثنى على نفسه به أنه ملك ومالك، قال -سبحانه-: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) [الفاتحة: 2 - 4]، ومن رحمته بالخلق أن الله -سبحانه- مالك يوم الدين وحده، وله الملك يوم القيامة وحده، لأنه الذي يحاسب بالعدل والإحسان، ويعفو ويسامح، ويغفر ويستر،

ولا يظلم ولا يجور: (الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) [غافر: 17].

إن استحقاقات اسم الله الملك بالغة الأثر على حياة العبد، بما فيها من سلوكيات وممارسات وأخلاقيات وعبادات ومعاملات، وهذه الاستحقاقات يتوجب على كل مسلم أن يعيها ويفهمها جيدا ليصلح سيره في الدنيا، ومصيره في الآخرة، ومن هذه الاستحقاقات:

أولا: إن الطاعة المطلقة إنما هي له وحده لا شريك له، لأنه الملك الحقيقي الذي له الملكية المطلقة، ولأن ما سواه من ملوك الأرض وغيرهم إنما هم عبيد له، وتحت أمره وقهره، فلا بد من تقديم طاعة الملك الحق على طاعة من سواه، وتقديم حكمه على حكم غيره، ولا طاعة لأحد إلا في حدود طاعته.

أما في معصيته فلا سمع ولا طاعة لأحد كائناً من كان، فالمخلوقات كلها مملوكة لله، مفتقرة إليه، لا تملك من السموات والأرض شيئاً، ولا مثقال ذرة، ولا تنفع أحداً ولا تضره إلا بإذن الله -سبحانه-: (قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلا نَفْعاً وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) [المائدة: 76]، وقد يُسمَّى بعضُ المخلوقين مِلِكاً إذا اتسع ملكه، إلا أن الذي يستحق هذا الاسم على وجه الكمال والإطلاق هو الله -جل جلاله-، لأنه مالك الملك، ومالك الأملاك، وليس ذلك لأحد غيره -سبحانه-، لذا لا يستحق العبادة والطاعة الكاملة المجردة سواه -عز وجل-.

ثانياً: إن الأمر والنهي لله -عز وجل-، فالله -تبارك وتعالى- هو الملك الحق، والملك الحق هو الذي يكون له الأمر والنهي، ويتصرف في خلقه وأمره كما يشاء، فمن ظن أن الله -عز وجل- خلق خلقه عبثاً لم يأمرهم ولم ينههم، فقد طعن في ملكه، ولم يقدره حق قدره: (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ) [الأنعام: 91]، فكل من جحد شرع الله، وأمره ونهيه، وجعل الخلق بمنزلة الأنعام المهملة، فقد طعن في ملك الله، ولم يقدره حق قدره.

ثالثا: إن الله -تبارك وتعالى- هو الملك الذي له ملك كل شيء، وله وحده الملكية الشاملة المطلقة في هذا الكون، والناس ليس لهم ملكيةً ابتداءً لشيء، إنما لهم استخلاف من الملك الواحد الذي يملك كل شيء: (آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ) [الحديد: 7] فالخلق مستخلفون فيما في أيديهم من الأملاك، وعليهم أن يخضعوا في خلافتهم لشروط المالك الذي استخلفهم وملكهم، فإن خالفوا فإن الله سيسألهم ويحاسبهم ويعاقبهم. ويروى أن رجلا مرّ بأعرابي له إبل، فقال له: يا أعرابي، لمن هذه الإبل؟ فقال: هي لله عندي.

فهو يهب من يشاء من ملكه الواسع، فقد أعطى آل إبراهيم الملك والنبوة والكتاب، قال -سبحانه-: (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً) [النساء:54]، وآتى فرعون الملك والسيادة، وقارون المال والريادة، (وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ) [الزخرف:51]، (إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ) [القصص:76]، ثمّ ابتلى هؤلاء، وابتلى أولئك، ففاز هؤلاء المقرّبون، وخسر أولئك المبعدون.

وملوك الأرض حين ينسون هذه الحقائق وهذه الاستحقاقات يتجبرون ويسيرون على درب فرعون لعنه الله، فيعاقبهم الله -عز وجل- بأنواع من المثلات ليكونوا عبرة للأوليين والآخرين، من هذه العقوبات:

❶غَلْقُ أبواب السماء دون حاجتهم، فإن الله -عز وجل- قد جمع لهم أسباب الحكم والعطاء وجعل بيدهم خزائن الأرض فمن حجبها عن الضعفاء والمساكين حجب الله عنه ما ينفعه وعطل عليه حاجته، عن عَمْرو بْنُ مُرَّةَ أَنَّهُ قَالَ لِمُعَاوِيَةَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- يَقُولُ مَا مِنْ إِمَامٍ[أَوْ وَالٍ] يُغْلِقُ بَابَهُ دُونَ ذَوِي الْحَاجَةِ وَالْخَلَّةِ وَالْمَسْكَنَةِ إِلَّا أَغْلَقَ اللَّهُ أَبْوَابَ السَّمَاءِ دُونَ خَلَّتِهِ وَحَاجَتِهِ وَمَسْكَنَتِهِ"، قال: فَجَعَلَ مُعَاوِيَةُ رَجُلًا عَلَى حَوَائِجِ النَّاسِ. [الترمذي (1253)، وصحّحه الألباني في الجامع (5685)].

❷ومنها: احتجاب الله عنهم يوم القيامة: فمن ملك من أمر الناس شيئًا تَطَلَّعوا إليه، ورجوا ما عنده، فإن حجب نفسه عنهم وحرمهم مما يرجون احتجب اللهُ عنه يوم القيامة وحرمه مما يرجو من النجاة، عن أبي مريم الأزدي -رضي الله عنه- قال: قال النبيُّ -ﷺ-: "من ولي من أمور المسلمين شيئا فاحتجب دون خلتهم وحاجتهم وفقرهم وفاقتهم احتجب الله عنه يوم القيامة دون خلته وحاجته وفاقته وفقره" [صحيح الجامع (6595)].

❸ومنها: يأتي الملوك إلى الله مغلولة أيديهم إلى أعناقهم، فكما كانوا أحرارًا طلقاءً في الأرض لا يسألهم أحدٌ من الخلق ولا يتقيدون في حركتهم كبقية الرعية فإنهم يأتون يوم القيامة مغلولين إلى الله -عز وجل-،عَنْ أَبِي أُمَامَةَ عَنْ النَّبِيِّ -ﷺ- أَنَّهُ قَالَ: "مَا مِنْ رَجُلٍ يَلِي أَمْرَ عَشَرَةٍ فَمَا فَوْقَ ذَلِكَ إِلَّا أَتَى اللَّهَ -عز وجل- مَغْلُولًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَدُهُ إِلَى عُنُقِهِ فَكَّهُ بِرُّهُ أَوْ أَوْبَقَهُ إِثْمُهُ، أَوَّلُهَا مَلَامَةٌ وَأَوْسَطُهَا نَدَامَةٌ وَآخِرُهَا خِزْيٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" [أحمد (21268)، وانظر صحيح الجامع (5718)].

❹ويُحْرمون من شفاعة النبي -ﷺ-، فكما أن الظلمة من ملوك الأرض ظلموا الناس حقوقهم، ولم يعدلوا فيهم بشرع الله، ولم يَشفع عندهم ضعف الرعية ومسكنتهم، فإنهم يُحْرَمُون من شفاعة النبي -ﷺ-، فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: "صنفان من أُمتي لن تنالهما شفاعتي: إمام ظلوم غشوم، وكل غالٍ مارق" [صَحِيح الْجَامِع: (3798)].

❺وكذلك لا يدخلون الجنة، فكما أن الأمن والعدل يكون نعيمًا للضعفاء والمساكين، بل ولكل الرعية، وقد حرمهم منهم الملك الظالم وغشهم وضيع مصالحهم فإنه يُحرم من دخول الجنة، فعَنْ مَعْقِلِ بْنَ يَسَارٍ الْمُزنِيَّ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- يَقُولُ: "مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ" [مسلم (203)].

-ﷺ- "ما مِن عَبْدٍ اسْتَرْعاهُ اللَّهُ رَعِيَّةً، فَلَمْ يَحُطْها بنَصِيحَةٍ، إلَّا لَمْ يَجِدْ رائِحَةَ الجَنَّةِ ". صحيح البخاري.

هذا يدلُّ على بُعدِه عنها وعدَمِ دُخولِه إيَّاها، وإنْ كان مِن أهل التوحيدِ فيَدخُلها بأحدِ أسبابِ دخولِها: كالتَّطهيرِ بالعذابِ، أو المغفرة، أو غَلَبَةِ الحسناتِ. الدرر السنية

❻ومنها: مناداة الملك لهم يوم القيامة لمن الملك اليوم؟ قال تعالى: (يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ) [غافر:16]، وهو يوم القيامة الذي يزول فيه كل مالك ومملوك إلا ملك الملوك -جل جلاله-، قال تعالى: (الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ) [الفرقان:26]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ -ﷺ- قَالَ: "يَقْبِضُ اللَّهُ الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ ثُمَّ يَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ" [متفق عليه].

ولا ينتقل ملك ملك عن هذه الدار بشيء من ملكه سوى الكفن، ثمّ يأت يقف يوم القيامة كسائر البشر، عن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ -ﷺ- يَقُولُ: "يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ كَقُرْصَةِ نَقِيٍّ، لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ لِأَحَدٍ" [متفق عليه]، و(بَيْضَاء عَفْرَاء): أيّ:

بَيْضَاء تميل إِلَى حُمْرَة، كَأَنَّ النَّار غَيَّرَتْ بَيَاض وَجْه الْأَرْض إِلَى الْحُمْرَة وَ (النَّقِيّ) هُوَ الدَّقِيق الذي منه الخُبز، والمقصود الْأَرْض الْجَيِّدَة.

والمقصود من الحديث أنه ليس عليها مملكة لملك، ولا سلطنة لذي سلطان، ولا قوة لحاكم، ولا حكم لقاضي، ولا قدرة لوالي، ليس على الأرض معلم لذي عرش ولا تاجٍ ولا صولجان، فـ(الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ) [الفرقان:26]، فقد ذهب الملوك وما ملكوا، وقد فني الحُكَّام وما حكموا، وهلك كسرى وقيصر، وذي يزنٍ، و(الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ).

الحمد لله الكريم المُفضِلِ *** المُسبِغ المُولِي العطاءَ المُجزلِ

تعالى الواحدُ الصمدُ الجليلُ *** وحاشا أن يكون له عديلُ

هو الملكُ العزيزُ وكل شيءٍ *** سِواهُ فهو مُنتقصٌ ذليلُ

وإن فقه اسم الله الملك ينتج آثارا عظيمة، ونتائج جسيمة على حياة العبد الديني والدنيوي:

أولها: يقين العبد أنه لا ملك إلا الله، وأن ما يملك من شيء فلا يقدر على حفظه والتصرف المطلق فيه؛ يغرس في قلبك بأن الله -جل وعلا- بيده مقاليد كل شيء عند الشدائد، لا يمكن أن تفزع لأحدٍ غير الله، لأنك تعلم أن ملكوت كل شيء بيد الرب -تبارك وتعالى-: (قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ) [المؤمنون: 88 - 89]، فتأمل كيف نعت الله -جل وعلا- ذاته العلية بأن بيده ملكوت كل شيء، وأن غيرَه -تبارك وتعالى- ليس بيده شيء من الأمر كله، هذا أول ما ينبغي أن يستشعره المؤمن إذا سمع اسم الله "الملك" الذي تسمى الله به في كتابه، في مثل قوله: (فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ)[طه: 114].

واعلم أن ملوك الدنيا إذا أعطوا غيرهم من ملكهم نقص ملكُهم، وقلَّ ما في خزائنهم، ولكنَّ الملكَ الحقَّ -سبحانه- يعطى فلا ينقص شيء أبداً من ملكه، ولا مما في يديه، وفي الحديث القدسي العظيم عَنْ أَبِي ذَرٍّ: "يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ" [مسلم(2577)]،والله - تعالى - يَنزل كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يمضي الثلث الأول ويقول: "أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الْمَلِكُ. مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ. فَلاَ يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُضِيءَ الْفَجْرُ" متفق عليه.

فتأمّل هذا الملك العظيم، والثراء العميم، أين ثرى الأثرياء، وأين أملاك الأدعياء؟، وغير ذلك أن الله -جل وعلا- حي باقٍ، أما الخلائق فإنهم ميتون لا محالة، فكل ملك في الدنيا إما أن يزول عن ملكه بموته، وإما أن يُزال ملكه عنه قسرا.

ثانياً: الإقرار بأنه -سبحانه- فعَّال لما يريد: قال ابن القيم: "الملك الحق هو الذي يكون له الأمر والنهي، فيتصرَّف في خلقه بقوله وأمره"، قال تعالى: (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) [يس: 82]، كل شيءٍ تحت قهره ويحدث بقَدَرِه ويتحرك بأمره، والله قد ملك كل شيءٍ بأمره ونهيه.

ثالثا: من آثار الإيمان باسم الله الملك: حصول التواضع للمؤمن، فإن من عرف أن الله هو الملك الحق، فلا بد له من أن يتواضع، ولا يرفع نفسه فوق منزلة العبيد، حتى لو كان من الملوك، فإنه لا يعدو كونه عبدًا فقيرًا، يعيش تحت قهر الله وسلطانه، قَالَ -ﷺ-: "يَطْوِي اللَّهُ -عز وجل-

السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ..." [مسلم (4995)]، فبماذا يجيب الجبارون والمتكبرون بعد هذا النداء؟ يوم لا تسمع إلا همساً، ولا تكلم نفس إلا بإذنه.

ولهذا كان -ﷺ- سيّد المتواضعين، ولم يسْعَ للملك قطّ، ومن أجل ذلك اختار أن يكون عبدًا رسولاً وأبى أن يكون ملكًا نبيًا، فعن أبي هريرة قال: "جَلَسَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ -ﷺ- فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ فَإِذَا مَلَكٌ يَنْزِلُ فَقَالَ جِبْرِيلُ: إِنَّ هَذَا الْمَلَكَ مَا نَزَلَ مُنْذُ يَوْمِ خُلِقَ قَبْلَ السَّاعَةِ، فَلَمَّا نَزَلَ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ رَبُّكَ، قَالَ: أَفَمَلِكًا نَبِيًّا يَجْعَلُكَ، أَوْ عَبْدًا رَسُولًا؟ قَالَ جِبْرِيلُ: تَوَاضَعْ لِرَبِّكَ يَا مُحَمَّدُ، قَالَ: بَلْ عَبْدًا رَسُولًا" [أحمد (6863)].

ولما أُدخل عليه رجلٌ ترعد فرائصُه خوفا من النبي -ﷺ- لما يعلم هذا الرجل من بطش الملوك، فظنّ أن النبي حاله كحال ملوك الأرض، الذين لا يرحمون خائفا لخوفه، ولا راجيا لرجائه، طمئنه النبي واعلمه بأنه في أمان فعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ -ﷺ- رَجُلٌ فَكَلَّمَهُ، فَجَعَلَ تُرْعَدُ فَرَائِصُهُ [الْفَرَائِص جَمْع فَرِيصَة وَهِيَ لَحْمَة تَرْتَعِد عِنْد الْفَزَع]، فَقَالَ لَهُ: "هَوِّنْ عَلَيْكَ، فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ، إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ" وَالقديد: اللَّحْم الْمُمَلَّح الْمُجَفَّف فِي الشَّمْس [ابن ماجه(3303)].

رابعا: إن العبد إذا علم أن الله هو الملك الحقيقي وأن لكل ملك حِمَى، تورَّع من التورط في محاداة الملك ومعاندته بالولوج إلى حِمَاه، وحمى الله محارمه وما نهى عنه، "أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ" [متفق عليه]، فإياك ومحارمَ الله -عز وجل-؛ فإنها منطقة خَطرة، وبقعة وَعِرة، فمن ارتكب شيئًا من محارم الله فقد تعدى حدَّه وعرَّض نفسه لعقوبة الملك، وَانْأَ بنفسه عن ذلك الحمى.

وقد كان أصحاب النبي -ﷺ- يتركون ثلاثة أرباع الحلال خشية الحرام، وكان ابن عمر -رضي الله عنه- يقول: "أُحب أن أجعل بيني وبين الحرام حائلاً من الحلال"، وجاء في حديث أخرجه الترمذي وابن ماجه، واللفظ له عَنْ عَطِيَّةَ السَّعْدِيِّ وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ -ﷺ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: "لَا يَبْلُغُ الْعَبْدُ أَنْ يَكُونَ مِنْ الْمُتَّقِينَ حَتَّى يَدَعَ مَا لَا بَأْسَ بِهِ حَذَرًا لِمَا بِهِ الْبَأْسُ" [حسّنه الألباني في مشكاة المصابيح (2775)].

خامسا: من آثار الإيمان والفقه لاسم الله الملك أن العبد يكون بما في يَدَيِ الله أوثق منه مما في يديه، أو في يد غيره من الخلق، ولهذا ورد في الدعاء المأثور عن رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: "اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ" [الترمذي (3486)]، فإذا أراد أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يدي الله أوثق منه مما في يديه، إذا أردت أن تكون أقوى الناس فتوكل على الله، إذا أردت أن تكون أكرم الناس منزلةً فاتق الله.

دخَل هشام بن عبد الملك الكعبة، فإذا هو بسالم بن عبدا لله بن عمر، فقال له: يا سالم، سلني حاجةً، فقال له: إني لأستحيي من الله أن أسألَ في بيت الله غيرَ الله، فلما خرج في أثره، قال له: الآن قد خرجتَ، سلني حاجة، فقال له سالم: حوائج الدنيا أم حوائج الآخرة؟! قال: بل حوائج الدنيا! فقال له سالم: ما سألتها مَن يَملكها، فكيف أسأل مَن لا يَملكها؟!

سادسا: دعاء الله بهذا الاسم الكريم، دعاء الله وتمجيده باسمه "الملك".

فقد كان النبي -ﷺ- إذا أصبح قال: "أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ لِلهِ"، وإذا أمسى قال: "أَمْسَيْنَا وَأَمْسَى الْمُلْكُ لِلهِ" مسلم. وأمرنا أن نقول بعد كل صلاة مكتوبة: "لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ، لَهُ الْمُلْكُ

وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" متفق عليه، وأن نكرر هذا الدعاء عشر مرات بعد صلاة الفجر قبل أن نتكلم - كما حسنه في ص. الترغيب

فقد أورد الشيخان من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ: "مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنْ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ" [البخاري (3293) مسلم(2961)]، والأحاديث في هذا كثيرة مستفيضة.

إن من أعظم مقاصد الصلاة التواضع للملك العظيم، فاطر السماوات والأرض، واستشعار عظمته وكبريائه وسعة ملكه.

وقد كان -ﷺ- يفتتح صلاته بالثناء على الله الملك، فاطر السماوات والأرض، ويسأله العفو عن التقصير في حقه، والقصور في ما يكون من أداء واجبه، ويسأله المباعدة عن الذنوب والخطايا مباعدة المشرق والمغرب وأن ينقي قلبه من المأثم وأن يغسله من الذنوب بالماء والثلج والبرد.

وكان عليه الصلاة والسلام يركع بين يدي الملك العظيم مالك الملك – ولا يُركعُ إلا له - فيقول في ركوعه الذي هو موضع تعظيم الملك العظيم -: " اللَّهمَّ لَك رَكعتُ، وبِك آمنتُ، ولَك أسلمتُ وعليكَ توَكلتُ أنتَ ربِّي خشعَ سمعي وبصري ودمي ولحمي وعظمي وعصبي للَّهِ ربِّ العالمينَ ". صحيح النسائي

وكان يجول بقلبه في ملكوت الله، وعظمته، وسعة ملكه، وسلطانه فيقول في ركوعِه:" سُبحانَ ذي الجبَروتِ والملَكوتِ والكِبرياءِ والعَظَمةِ" ثمَّ قال في سُجودِه مِثلَ ذلك رواه النسائي

المراجع:

1. الشيخ عبد الرزاق البدر-حفظه الله –: كتاب فقه الأسماء الحسنى.
2. في حضرة مالك الملك: ملتقى الخطباء - الفريق العلمي.
3. ماجد بن أحمد الصغير: الملك جل جلاله (1)
4. الملك، المليك، المالك جل جلاله: د. شريف فوزي سلطان